

الأثر الفلسفيّ عند فخر المحقّقين في شرحه

لخطبة (قواعد الأحكام)

المسمّى بـ (جامع الفوائد)

د. أحمد عطية

كبير باحثين

مركز المخطوطات/ مكتبة الإسكندرية

جمهورية مصر العربية

*The Philosophical Impact of Fakhr  
Al-Muhaqiqin in his Explanation of the  
Sermon (Qawaeid Al-Ahkam) called  
(Jami' Al-Farwa'id)*

*Dr. Ahmed Attia*

*Senior Researcher*

*The Manuscripts Center/Bibliotheca Alexandrina*

*Egyptian Arabic Republic*



## ملخص البحث

يعالج هذا البحث مسألة مهمة تتعلق بالمكوّنات الفكرية لفخر المحقّقين (محمد ابن الحسن الحليّ) المتوفّي ٧٧١ هجرية، تلك المكوّنات التي يبدو فيها الأثر الفلسفيّ واضحاً، فقد انعكس على منجزه العلميّ المتمثّل في شرحه خطبة (قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام)، لوالده ابن المطهر الحليّ (المتوفّي ٧٢٦ هجرية)، إذ عالج فخر المحقّقين شرحه لهذه الخطبة المسمّى (جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد) معالجة فلسفية تأثّر فيها بما كتبه فلاسفة المسلمين الأوائل، من أمثال الفارابي، وابن سينا عن النفس الناطقة، ومراتب العقل النظرية المتمثلة في العقل الهولانيّ، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، ثمّ تحدّث عن فلسفة السياسة، وحاجة الإنسان إلى المدنية بشكل يؤكّد معارفه الفلسفية بصورة جليّة.

لقد حظي فخر المحقّقين بترجمات واسعة من بين كتب التراجم، ولكن أي منها لم ينقل لنا صورة كاملة على سعة اطلاعه ومعارفه للعلوم العقلية، كما قال هو نفسه في شرح خطبة قواعد الأحكام: «إني لَمَّا اشتغلت على والدي - قدّس الله سرّه - في المعقول والمنقول، وقرأت عليه كثيراً من كتب أصحابنا...»<sup>(١)</sup>، وهنا تظهر قيمة هذه الرسالة التي هي موطن هذه الدراسة، والتي شرح فيها خطبة قواعد الأحكام، حيث مثّلت الدليل العمليّ الواضح على المعارف العقلية الواسعة لفخر المحقّقين.

(١) انظر: إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد: ٩/١.



## Abstract

This research deals with an important issue related to the intellectual components of Fakhr Al-Muhaqqiqin (Muhammad ibn Al-Hasan Al-Hilli) who died in 771 A.H, those components in which the philosophical impact appears clear. It was reflected in his scientific achievement represented in his explanation of the sermon "Qawaeid Al'ahkam fi Maerifat Al-halal wal-Haram" by his father Ibn Al-Mutahhar Al-Hilli (died in 726 A.H), where Fakhr Al- Muhaqqiqin dealt with his explanation of this sermon called (Jami' al-Fawa'id fi Sharh Khutbat Al- qawaeid)) a philosophical treatment in which he was influenced by the writings of The first Muslim philosophers as Al-Farabi and Ibn Sina about the speaking soul And the ranks of the theoretical mind represented in the hyaloid mind, the mind with the faculty, the mind in action, and the learned mind. Then he talked about the philosophy of politics and man's need for civility in a way that clearly confirms his philosophical knowledge.

Fakhr Al-Muhaqqiqin had an extensive biography among



the books of biographers, but none of them conveyed to us a complete picture of his wide knowledge and knowledge of the rational sciences, as he himself said in explaining the sermon of Qawaid al-Ahkam: He has many of the books of our companions.." And here the value of this letter appears, which is the home of this study, in which he explained the sermon of Qawaid al-Ahkam, as it represented the clear practical evidence of the extensive mental knowledge of Fakhr Al- Muhaqqiqin.



## في التقديم

هذه دراسة نحاول في ضوئها التقاط الأثر الفلسفي في المكوّن الفكري لفخر المحققين (محمد بن الحسن بن يوسف الحليّ ت ٧٧١هـ)، وهو أثر لا يظهر في مؤلّف مستقل، يمكن به القول بالمنحى الفلسفي للمؤلّف، فمطالعة كتب التراجم المختلفة التي ترجمت لفخر المحققين لم تذكر أنّ له كتاباً في الفكر الفلسفي، فالخوانساري، على سبيل المثال، يذكر في روضات الجنّات<sup>(١)</sup>، في ترجمة مطوّلة، بعضاً من تصانيفه العلميّة التي دار بعضها حول شرح لمؤلّفات والده ابن المطهر الحليّ (جمال الدين أبي منصور المتوفّى ٧٢٦ هجرية)، ولا نجد من بينها مؤلّفاً يندرج تحت المعالجة الفلسفيّة الخالصة، وهنا نقطة مهمّة تتمثّل في أنّ الاقتصار على عناوين المؤلّفات العلميّة لمؤلّف ما، ومحاولة الوصول من خلالها إلى المنحى الفكريّ لهذا المؤلّف، أمر يشوبه النقصان؛ لأنّ القيمة الحقيقيّة في كينيّة معالجة الفكرة التي يطرحها المؤلّف، لا في الفكرة ذاتها، فقد تدرج الفكرة تحت علم الفقه مثلاً، ثمّ تجرّد المعالجة لها تدخل زوايا أخرى، ربّما ترتبط بعلم الكلام، وبالعميقة في بعض الأحيان.

وهو أمر يظهر كثيراً في كتب الشروح القائمة على المتون الأصليّة، كما هو الحال مع مؤلّفنا (فخر المحققين)، إذ إنّ رسالته المسماة بـ(جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد)، التي شرح فيها خطبة كتاب (قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام) لوالده ابن المطهر الحليّ، يظهر فيها أثر فلسفيّ قد يبدو غريباً للوهلة الأولى، عند الوقوف على فنّ

(١) انظر: روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، للخوانساري: ٦/ ٣٣٠.

الكتاب المشروح (قواعد الأحكام)، وهو الفقه.

لقد أتضح هذا الأثر الفلسفي في شرح فخر المحققين لخطبة قواعد الأحكام، دون شرحه لقواعد الأحكام نفسه، والذي جاء تحت عنوان (إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد)، ونثره على أربعة مجلدات كبار<sup>(١)</sup>، وهذا أمرٌ قد يبدو مستغرباً في بداية الأمر، ولكن تزول تلك الغرابة إذا نظرنا إلى طبيعة المتن المشروح نفسه، فجامع الفوائد هو شرح لخطبة القواعد، أمّا إيضاح الفوائد، فهو شرح لكتاب القواعد نفسه، وهو في فنّ الفقه، وطبيعة النصّ الفقهيّ أنّه نصّ محكوم (قواعد).

غاية الأمر، إنّ قيمة هذه الدراسة تكمن في أنّها منبثقة من نصّ حقيقيّ، وهو شرح خطبة القواعد، والذي يمكن الاتّكاء عليه في بيان عدّة أمور مهمّة، على رأسها تلك السعة المعرفيّة التي كان يتمتع بها فخر المحققين، والتي رصدتها له بعض كتب التراجم، فمعارفه لم تقتصر على كتب الفقه وحدها، ولا العقائد، وعلم الكلام، بل امتدّت إلى تلك المعارف الفلسفيّة التي كانت سائدة في عصره، وهو أمرٌ يمكن أن نفهم به قوله في شرح هذه الخطبة الواردة مطبوعة في صدر شرحه المسمّى (إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد): «إني لَمَّا اشتغلت على والدي - قدس الله سرّه - في المعقول والمنقول، وقرأت عليه كثيراً من كتب أصحابنا...»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن نفهم من خلاله أيضاً ما ذكره عنه القمّيّ في كتابه (الكنى والألقاب)،

(١) انظر: إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد، لفخر المحققين (محمد بن الحسن الحلبيّ)، نَمَقَه وعلّق عليه: الشيخ حسين الموسويّ الكرمانيّ، والشيخ عليّ الاشتهاريّ، والشيخ عبد الرحيم البروجرديّ.

(٢) انظر: إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد: ٩/١.  
وانظر كذلك: الرسالة الفخرية في معرفة النية، لفخر المحققين الحلبيّ، تحقيق: صفاء الدين البصريّ، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، إيران، ط ١، ١٤١١هـ: ٩.



الأثر الفلسفي عند فخر المحققين في شرحه لخطبة  
(قواعد الأحكام) المسمّى بـ (جامع الفوائد)



حيث قال: «كفى من ذلك أنه فاز بدرجة الاجتهاد في السنة العاشرة من عمره الشريف»<sup>(١)</sup>.

إنّ نص (جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد) يقدّم الدليل العمليّ لما سبق من مقدّمات نظريّة، أسندت لفخر المحققين معارف علميّة، ربّما لو اقتصرنا على مؤلّفاته العلميّة؛ لما اسعفتنا في تأكيد ذلك، وهنا تظهر قيمة دراسة النصّ في الحكم على الاتجاه الفكريّ لصاحبه، وعدم الاستناد إلى كتب التراجم والأخبار فقط.

وسنحاول في الصفحات الآتية من هذه الدراسة، إن شاء الله تعالى، بيان هذا الأثر الفلسفيّ في المكوّن الفكريّ لفخر المحققين، في شرحه لخطبة قواعد الأحكام.



(١) انظر: الكُنَى والألقاب، للشيخ عباس القمي، مكتبة الصدر، طهران: ١٦/٣.





الورقة الأولى من مخطوطة جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد



## الأثر الفلسفي في شرح خطبة القواعد

قال فخر المحققين في مقدّمة رسالة (جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد):  
«أمّا بعد، فقد سألتني أجلّ الحِلّان وأفضل الإخوان أن أملي عليه شرح خطبة  
القواعد، تصنيف والدي عليه منّي التحيّة والإكرام... فأجبت سؤاله، وأمليت هذه  
الرسالة، وحرّرت هذه المقالة، وسمّيتها بجامع الفوائد في شرح خطبة القواعد،  
بيّنتُ فيها الدقائق والفرائد، وأوضحت فيها اللطائف والفوائد، التي اشتمل  
عليها خطبة الكتاب، متوكّلاً على مسبّب الأسباب، الملك العزيز الوهّاب، الغفور  
التوّاب»<sup>(١)</sup>.

ثمّ قال فخر المحققين: «قولُهُ: الحمد لله على سوابغ النعماء وترادف الآلاء. أقول:  
اعلم أن للنفس الناطقة قوتين؛ قوّة علمٍ وقوّة عمل، ولها في كلّ واحدةٍ منها مراتب،  
أمّا مراتب القوّة العلميّة فأربعة؛

المرتبة الأولى: ما يسمّى عقلاً هيولانياً، وهي القوّة التي من شأنها الاستعداد  
المحض، وهو شامل لكلّ قوى النفوس الناطقة، وإليه أشار المصنّف بقوله: على سوابغ  
النعماء.

(١) انظر: مخطوطة جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد، لفخر المحققين محمّد بن الحسن الحليّ،  
نسخة مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، المملكة العربيّة السعوديّة.  
وعلى الرغم أنّ هذه الرسالة قد نُشرت في صدر كتاب (إيضاح الفوائد في حلّ مشكلات  
القواعد)، إلاّ أنّي أثرت الاعتماد عليها في صورتها الخطيّة.

المرتبة الثانية: العقل بالملكة، وهي القوة التي من شأنها الانتقال من العلوم البديهيّة إلى العلوم الكسبيّة.

المرتبة الثالثة: العقل بالفعل؛ وهي القوة التي تدرك المعقولات الكسبيّة.

المرتبة الرابعة: العقل المستفاد، وهو انطباع القوى المعقولة في النفس كالصورة في المرآة<sup>(١)</sup>.

إنّ المتأمل في الفقرة السابقة من رسالة (جامع الفوائد) يقتنص عددًا من المصطلحات التي تدخل في إطار الحقل الفلسفيّ، والتي لا تجري على لسان القائل بها، إلا إذا انطلقت من معارف فلسفيّة سابقة، فهي انعكاس حقيقيّ لتلك المعارف، وهي مصطلحات (النفس الناطقة، مراتب القوة العلميّة، العقل الهولانيّ، العقل بالملكة، العلوم البديهيّة، العلوم الكسبيّة، العقل بالفعل، المعقولات الكسبيّة، العقل المستفاد، القوى المعقولة في النفس)... إلى غير ذلك من تلك المصطلحات الفلسفية التي سنحاول أن نقدّم لها تعريفًا موجزًا في حقلها الفلسفيّ، حتّى يتبيّن للقارئ المراد منها.

فالنفس الناطقة: هي الجوهر المجرّد عن المادّة في ذواتها، مقارنة لها في أفعالها، أو هي كما قال ابن سينا: «جوهر روحيّ فاض على هذا القلب وأحياه، وأخذ آله في اكتساب المعارف والعلوم، حتى يستكمل جوهره بها، ويصير عارفًا بربه، عالمًا بحقائق معلوماته»<sup>(٢)</sup>، وأغلب الظنّ أنّ هذا المعنى هو ما قصده فخر المحقّقين للنفس الناطقة.

(١) انظر: جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد (مخطوط): ١.

(٢) انظر: رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها، لابن سينا، مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة:



ثم إن تقسيم قوتي النفس الناطقة إلى قوة علم وقوة عمل، هو نفس التقسيم الذي أورده ابن سينا للنفس الناطقة في كتاب (الشفاء)، يقول ابن سينا: «وأما النفس الناطقة الإنسانية، فتتقسم قواها إلى قوة عاملة وقوة عالمة. وكلُّ واحدة من القوتين تسمى عقلاً، باشتراك الاسم أو تشابهه»<sup>(١)</sup>.

ثم يقسم فخر المحققين القوة العلمية إلى أربع مراتب، ويجعل في المرتبة الأولى العقل الهولائي، ويفسره بقوله: وهي القوة التي من شأنها الاستعداد المحض، وهو شامل لكل قوى النفوس الناطقة، وهو نفس المعنى تقريباً الذي أورده الفارابي للعقل الهولائي في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة)، فقد ذكره صراحة بقوله: «وأما العقل الإنساني الذي يحصل له بالطبع في أول أمره، فإنه هيئة ما في مادة معدة لأن تقبل رسوم المعقولات، فهي بالقوة عقل وعقل هولائي، وهي أيضاً بالقوة معقولة»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى قول الفارابي: «في مادة معدة لأن تقبل رسوم المعقولات»، هي قضية الاستعداد التي تحدت عنها فخر المحققين في كتابه جامع الفوائد، ومصطلح (الاستعداد) أسهل بكثير من القوة المعدة عند الفلاسفة، وهو يعكس مقدار فهم فخر المحققين لهذه المصطلحات الفلسفية، وإمكانية تطويعها بمصطلحات أقرب فهمًا من تعقيدات الفلاسفة ومصطلحاتهم.

ويعبر عن العقل الهولائي بقول المصنّف (مصنّف قواعد الأحكام): على سوايح النعماء؛ وذلك على أساس أنّ هذه القوة - قوة الاستعداد في داخل النفس - من نعم الله الكبرى على العبد.

(١) انظر: النفس من كتاب الشفاء، لأبي عليّ ابن سينا، تحقيق: الشيخ حسن زادة الأملّي، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ط ١: ٦٣.

(٢) انظر: آراء أهل المدينة الفاضلة، للفارابي، تقديم وتعليق: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣: ١٠١.



ثمَّ يجعل فخر المحقِّقين المرتبة الثانية من مراتب القوَّة، القوَّة العلميَّة: العقل بالملكَّة، ويذكر أنَّ مهمَّة هذه القوَّة الانتقال من العلوم البديهيَّة إلى العلوم الكسبيَّة.

ويقصد بها الملكة العقلية المكتسبة التي تعتمد على قوى الإدراك وغيرها، عن طريق الاحتكاك بالواقع ومعايشته، وهو المعنى نفسه، تقريباً، الذي قصده ابن سينا عند حديثه عن النفس في كتابه الشفاء، حيث يسمِّي هذه العلوم المكتسبة بالقوَّة الممكنة، يقول ابن سينا: «وتارةً نسبة ما بالقوَّة الممكنة، وهي أن تكون القوَّة الهولانية قد حصل فيها من المعقولات الأولى التي تتوصَّل منها وبها إلى المعقولات الثانية، أعني بالمعقولات الأولى المقدمات التي يقع بها التصديق، لا باكتساب، ولا بأن يشعر المصدِّق بها أنَّه كان يجوز له أن يخلو عن التصديق بها وقتاً البتَّة، مثل اعتقادنا بأنَّ الكلَّ أعظم من الجزء، وأنَّ الأشياء المتساوية لشيء واحد بعينه متساوية، فما دام أنَّه يحصل فيه من معنى ما بالفعل هذا القدر بعد، فإنَّه يسمَّى عقلاً بالملكَّة»<sup>(١)</sup>.

والعقل بالملكَّة أو العقل باعتباره قوَّة ممكنة، وهو العقل الذي حصلت له المعرفة بمبادئ القياس التي تتأسَّس عليها المعرفة. يرى ابن سينا أنَّ الانتقال إلى هذا المستوى يحصل عندما يكتسب العقل الهولاني (المعقولات الأولى)، وهي البديهيَّات أو مقدمات القياس التي تستعمل في الاستدلال، والتي يتوصَّل، انطلاقاً منها وبواسطتها، إلى المعقولات الثانية أو الصور المجرَّدة، ولكنَّه يكتفي بخزن المعقولات الأولى في الذاكرة، ولا يرجع إليها ليطالعها ويتأمَّلها بالفعل»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: النفس من كتاب الشفاء، ص ٦٧.

(٢) انظر: ملكات النفس الإنسانية ومستويات التجريد في فلسفة ابن سينا، أحمد أغبال، مقال منشور في ١٤ سبتمبر ٢٠٠٦، على الرابط:

<http://sophia.over-blog.com/article-3832525.html>.



ثم يجعل فخر المحققين في المرتبة الثالثة من مراتب القوّة العلميّة أو النظريّة العقل بالفعل، ويحدّد مهمّته بقوله: «القوّة التي تُدرِك المعقولات الكسبيّة».

يقول ابن سينا عند حديثه عن النفس في كتاب الشفاء: «وبتحصيل هذا الضرب من العقل بالفعل، وهو القوّة، تحصل للنفس أن تعقل بها ما تشاء، فإذا شاءت اتّصلت وفاضت فيها الصورة المعقولة، وتلك الصورة هي العقل المستفاد بالحقيقة، وهذه القوّة هي العقل بالفعل فينا من حيث بها أن نعقل. وأمّا العقل المستفاد، فهو العقل بالفعل من حيث هو كمال»<sup>(١)</sup>.

وينتقل العقل إلى هذا المستوى عندما يتقن استعمال القياس، ويصبح قادرًا على التفكير بذاته، من غير أن يحتاج في ذلك إلى التعلّم والاكْتساب، فيعود إلى المعقولات الأولى ويتأمّلها، متى شاء بلا تكلّف واكتساب، يعقلها ويعقل أنّه يعقلها بالفعل. إنّ ما يميّز هذا العقل هو قدرته على التفكير في الصور المتضمّنة فيه، وفي ذاته، حيث يحصل له الوعي بالذات، ويتحوّل إلى عقل بالفعل، ويجوز أن يسمّى عقلاً بالقوّة بالقياس إلى العقل الذي يأتي بعده في الترتيب<sup>(٢)</sup>.

ثمّ يأتي في المرتبة الرابعة العقل المستفاد، وهو انطباق القوى المعقولة في النفس كالصورة في المرآة، بحسب قول فخر المحققين، وهو تعبير يُعني كثيرًا عن تعقيدات الفلاسفة عند حديثهم عن العقل المستفاد، فيقول الفارابي في كتابه (رسالة في العقل) متحدثًا عن العقل المستفاد: «فالعقل بالفعل متى عقل المعقولات التي هي صور له من حيث هي معقولة بالفعل، صار العقل الذي كنّا نقول أوّلاً إنّهُ العقل بالفعل، هو الآن العقل المستفاد»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: النفس من كتاب الشفاء: ٣٣٨.

(٢) انظر: ملكات النفس الإنسانيّة ومستويات التجريد في فلسفة ابن سينا، أحمد أغبال.

(٣) انظر: رسالة في العقل، للفارابي، تحقيق: موريس بويج، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦: ٢٠.

غاية الأمر إن هذا التقسيم الرباعي لمراتب القوّة العلميّة أو النظرية للنفس الناطقة (العقل الهولاني، العقل بالملكة، العقل بالفعل، العقل المستفاد)، هو نفسه التقسيم الذي أورده فلاسفة المسلمين للعقل، وعلى رأسهم الفارابي، وابن سينا.

إنّ الأثر الفلسفيّ في المكوّن الفكريّ لفخر المحقّقين يبدو واضحاً جداً من هذا التقسيم الذي أورده لمراتب العقل المختلفة، وهو يبيّن لنا مدى اطلاعه على العلوم العقلية، كما بيّننا من قبل.

ثمّ يظهر هذا الأثر الفلسفيّ كذلك عند فخر المحقّقين في رسالته (جامع الفوائد)، عند حديثه عن فلسفة السياسة في الإسلام، حيث يقول شارحاً لقول المصنّف: «قوله: المتفصّل بإرسال الأنبياء؛ لإرشاد الدهماء. أقول: هاهنا ثلاث فوائد:

**الفائدة الأولى:** إنّ كان أعظم النعم هو النبوة؛ لأنّ نفعها عام، ويحصل بها سعادة الدارين، ويحصل بها الانتظام لأحوال الشخص في نفسه، وفي تدبير منزله، ومشاركته مع غيره المسمّى بسياسة المدن، فلهذا حمد الله عليه.

**الفائدة الثانية:** إنّهُ أشار إلى دليل النبوة بقوله: لإرشاد الدهماء؛ أي الخلق الكثير، وتقرير الدليل أنّ الإنسان مدنيّ بالطبع، لا يمكن أن يعيش وحده، بل لا بدّ من مشاركتهم من بني نوعه؛ ليفزع كلّ منهم إلى الآخر فيما يحتاج إليه، والاجتماع مظنة التنازع؛ لأنّ ضعفاء العقول يختارون بلوغ شهواتهم، ويحتقرون فيها فساد نظام النوع، فكان تمام نظام النوع يحتاج إلى الشريعة، وناموس إلهي، وحدود تمنع الشهوات والقوّة الغضبيّة، فلا بدّ أن يكون الصادع به يوحي من قبل الله تعالى، ويدلّ عليه معجزات وآيات؛ لاشتئاله على الترجيح من غير مرجّح»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد (مخطوط): ٢.



الأثر الفلسفي عند فخر المحققين في شرحه لخطبة  
قواعد الأحكام) المسمّى بـ(جامع الفوائد)

إنّ الحديث عن تدبير المنزل، وسياسة المدن، وحاجة الإنسان إلى المدينة، وحاجته إلى إرسال الرُّسل، هو حديث فلسفيّ عاجله فلاسفة المسلمين عند حديثهم عن فلسفيّة السياسة، فيقول الفارابيّ، على سبيل المثال، في آراء أهل المدينة الفاضلة: «فلذلك لا يمكن للإنسان ينال الكمال الذي لأجله جعلت الفطر الطبيعيّة إلّا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين، يقوم كلُّ واحدٍ لكلِّ واحدٍ بكلِّ ما يحتاج إليه في قوامه»<sup>(١)</sup>.

ويلخصّ أبو حيّان التوحيديّ في كتابه (الصدّاقة والصدّيق) فكرة المدينة هذه بقوله: «وقد قال الأوائل: الإنسان مدنيّ بالطبع، وبيان هذا أنّه لا بدّ له من الإعانة، والاستعانة؛ لأنّه لا يكمل وحده لجميع مصالحه، ولا يستقلّ بجميع حوائجه، وهذا ظاهر، وإذا كان مدنيّاً بالطبع، كما قيل، فبالواجب ما يعرض في أضعاف ذلك من الأخذ، والعطاء، والمجاورة والمحاورّة، والمخالطة والمعاشرة، ما يكون سبباً لانتشار الأمر، ولا محالة أنّ هذه وأشباهها مفضية إلى جملة ما نعته هؤلاء الذين روينا نظمهم ونثرهم، وكتبنا جورهم وإنصافهم»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن سينا في قسم الإلهيات من كتاب الشفاء، متحدّثاً عن حاجة الناس إلى النبوة: «وهذا الإنسان إذا وُجد يجب أن يسنّ الناس في أمورهم سنّاً بإذن الله تعالى، وأمره ووحيه، وإنزاله الروح المقدّس عليه، ويكون الأصل الأوّل فيما يسنّه تعريفه إيّاهم أنّ لهم صناعاً واحداً قادراً، وأنّه علّام بالسرّ والعلانية، وأنّ من حقّه أن يُطاع أمره؛ فإنّه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق، وأنّه قد أعدّ لمن أطاعه المعاد المسعد، ولمن

(١) انظر: آراء أهل المدينة الفاضلة: ١١٧.

(٢) انظر: الصدّاقة والصدّيق، لأبي حيّان التوحيديّ: ١٦١، تحقيق: د. إبراهيم الكيلانيّ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤١٩هـ: ١٦١.



عصاه المعاد المشقي، حتى يتلقى الجمهور رسمه المنزّل على لسانه، من الإله والملائكة، بالسمع والطاعة، ولا ينبغي أن يشغلهم بشيء من معرفة الله تعالى فوق معرف أنه واحد لا شبيه له. فأما أن يعدي بهم إلى أن يكلفهم أن يصدّقوا بوجوده، وهو غير مُشار إليه في مكان، ولا خارج العالم ولا داخله، ولا شيئاً من هذا الجنس، فقد عظم عليهم الشغل، وشوّش فيما بين أيديهم الدين، وأوقعهم فيما لا مخلص عنه، إلا لمن كان المعان الموقّق الذي يشدّ وجوده ويندر كونه، فإنه لا يمكنهم أن يتصوّروا هذه الأحوال على وجهها إلا بكّد»<sup>(١)</sup>.

### خلاصة

إنّ كلّ ما سبق يؤكّد ذلك الأثر الفلسفيّ في المكوّن الفكريّ عند فخر المحقّقين، والذي ظهر جليّاً في رسالته هذه التي شرح فيها خطبة قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام لوالده ابن المطهر الحليّ، وهي رسالة في غاية الأهميّة؛ لأنّها تقدّم الدليل العمليّ على تلك المعارف العقلية التي حازها فخر المحقّقين، والتي لم تقف أمامها طويلاً كتب التراجم التي تناولت الترجمة له، حيث اكتفت بسرد مؤلفاته فقط، دون التّطرق إلى قضية المعالجة التي تفتح آفاقاً أخرى في المكوّنات الفكرية للشخصية المترجم لها.

(١) انظر: الشفاء (الإلهيات)، لابن سينا، ص ٤٨٨.

### مصادر البحث ومراجعته

١. آراء أهل المدينة الفاضلة، للفارابي، تقديم وتعليق: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣.
٢. إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد، لفخر المحققين (محمد بن الحسن الحلي)، نمّقه وعلّق عليه: الشيخ حسين الموسوي الكرماني، والشيخ عليّ الاشتهاري، والشيخ عبد الرحيم البروجردي، قم ١٣٨٨ م.
٣. الرسالة الفخرية في معرفة النية، لفخر المحققين الحلي، تحقيق: صفاء الدين البصري، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، ط ١، ١٤١١ هـ.
٤. رسالة في العقل، للفارابي، تحقيق: موريس بويج، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.
٥. رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها، لابن سينا، مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة.
٦. روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، للخوانساري.
٧. الصداقة والصديق، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط ١، ١٤١٩ هـ.

٨. الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمّي، مكتبة الصدر، طهران، الجزء الثالث.

٩. مخطوطة جامع الفوائد في شرح خطبة القواعد، لفخر المحققين محمد ابن الحسن الحليّ، نسخة مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، المملكة العربيّة السعوديّة.

١٠. ملكات النفس الإنسانيّة ومستويات التجريد في فلسفة ابن سينا، أحمد أغبال، مقال منشور في ١٤ سبتمبر ٢٠٠٦، على الرابط:  
<http://sophia.over-blog.com/article-3832525.html>.

١١. النفس من كتاب الشفاء، لأبي عليّ ابن سينا، تحقيق: الشيخ حسن زادة الآمليّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط ١، إيران.

